(٦٤) أبو يعقوب النهرجوري[١]

ذكر الشيخ أبي يعقوب النَّهرَجوري رحمه الله رحمة واسعة:

كان رحمه الله من كبار المشايخ، مخصوصًا بالخدمة والأدب، مقبولاً عند الأصحاب الصوفية، وكان ذا حرقةٍ عظيمة، ومُجاهدةٍ شديدة، ومُراقبةٍ كاملة، وله كلماتٌ حميدة.

صحب عمرو بن عثمان المكي، والجُنيد.

وجاور الحرمَ الشريف حرسه الله تعالى، وتُوفّي هناك سنة ثلاثين وثلاث مئة رحمه الله.

نقل أنه لم يسترحْ ساعةً من العبادة والمجاهدة، ولم يطبْ قلبُه في الدنيا لحظةً، حتى اشتكى في المناجاة إلى الله تعالى، فنُودي في سرِّه: يا [أبا] يعقوب، إنك عبدٌ، والعبدُ لا يستريح.

قال له شخص: أنا أُصلّي، ولا أَجدُ حلاوةَ الصلاة في قلبي. قال: لأنَّك لا تُصلّي من القلب، إذ لو صلّيت بالقلب لوجدتَ حلاوتَها فيها[٢].

قال أبو يعقوب رحمه الله: رأيتُ شخصًا أعورَ في الطواف، يقول: اللهم، إنّي أَعوذُ بك منك. فسألته عن حاله، قال: نظرتُ نوبةً إلى جميلٍ، وأَعجبني

---

(١) هو إسحاق بن محمد، وترجمته في: طبقات الصوفية ٣٧٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، الرسالة القشيرية ١٠٢، مناقب الأبرار ٧٢٤، المنتظم ٦/ ٣٢٦، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٠٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢٢١، الوافي بالوفيات ٨/ ٤٢٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٠٣، طبقات الأولياء ١٠٥، العقد الثمين ٣/ ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٥، نفحات الأنس ١٩٥، طبقات الشعراني ١/ ١١١، الكواكب الدرية ٢/ ٥٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥.

(٢) في (أ): صليت من القلب لوجدت حلاوتها فيه.

جمالُه، فلطمتني يدٌ من الغيب، وقلعت عيني التي نظرتُ إليه، ثم سمعتُ: نظرةٌ بلطمة، فإن زدتَ زدنا.

وقال: الدنيا بحرٌ، ساحلُهُ الآخرة، وسفينتُهُ التقوى، والخلقُ كلُّهم مسافرون إليها.

وقال: من كان شبعُهُ بالطعام فهو لا يشبعُ أبدًا، ومن استغنى بالمال يكون فقيرًا أبدًا، ومن طلب قضاءَ حوائجه من المخلوق يكون محرومًا أبدًا، ومن استعانَ في أموره بغيرِ الله يبقى مخذولاً أبدًا.

و: لا تزول نعمةٌ شُكرَ اللهُ عليها، ولا تدوم نعمةٌ لا يُشكر اللهُ عليها.

إذا وصلَ العبدُ إلى كمال الحقيقة صارَ البلاءُ عنده نعمةً، والمصيبةُ رجاء.

وقال: أصلُ هذا الشأن قلّةُ الأكلِ، وقلّة النوم، وقلّة الكلام، وتركُ الشهوات.

وقال: إذا صارَ العبدُ فانيًا من نفسه، باقيًا بالحقِّ يُسمّى عبدًا، كما قال الله تعالى في نبيِّه ﷺ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

وقال: السرورُ في ثلاثة أشياء: الأول: السرورُ بطاعة الله تعالى، والثاني: السرورُ بالقرب إلى الله تعالى، والبعد عن الخلق، والثالث: السرورُ في ذكرِ الله تعالى، ونسيان ما سواه.

وقال: علامةُ السرور في ذكر الله تعالى المواظبةُ على الطاعات، والمُجانبةُ عن الخلق والدنيا.

وقال: أفضلُ الأعمال الممارسةُ في العلم.

و: أعرفُ الخلقِ بالحقِّ أكثرُهم تحيُّرًا فيه.

وقال: لا يصلُ العارفُ إلى الله تعالى إلاّ أن يقطعَ قلبَه عن ثلاثة أشياء: العلم، والعمل والخلوة ـ يعني: لا يرى نفسه في هذه الأحوال شيئًا؛ بل إنّما يرى الله تعالى في جميع الأحوال.

وقال: الجمعُ ما علّمَ اللهُ تعالى آدمَ عليه السلام من الأسماء، والتفرقةُ ما تفرّقَ من ذلك بين الأنام إلى يوم القيامة.

وقال: أرزاقُ أهلِ التوكّلِ تصلُ إليهم بعلم الله تعالى، وبلا مشقّةٍ منهم في الطلبِ ولا تعبٍ، وغيرُهم طول الحياة في تعبِ الطلب.

وقال: التوكّلُ في الحقيقة من رفع كلفتَهُ ومُؤنته عن الخلق، فلا يشكو إلى أَحدٍ ما به من الضرِّ، ولا يَشتكي من أحدٍ، ولا يذمُّه إذا منعَهُ عن مقصوده، لأنه لا يرى المنعَ والعطاء إلاّ من الله تعالى.

وقال: التوكّلُ بالحقيقة كان لإبراهيم عليه السلام، حيث قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجةٌ؟ وذلك حين أُلقي في النار، وهو في الهواء، فقال عليه السلام: أَمّا إليكَ فلا.

وقال: لأهلِ التوكّل أوقاتٌ في غلبات، إنّهم إذا عبروا على النارِ في تلك الأوقات ما أَحسُّوا بها، وإن أُلقوا فيها ما ضرَّتْهم النار، وإن رُميت إليهم السهامُ في تلك الأوقات وجُرحوا لم يتألّموا، ولهم أوقاتٌ إن قرصتهم بقّةٌ تأذّوا منها، وبأدنى شيءٍ يَضطربون في تلك الأوقات.

سئل رحمه الله عن الطريق إلى الله تعالى، قال: التباعدُ عن الجهّال، والمصاحبةُ مع العلماء، والعملُ بالعلم، والمداومةُ على الذِّكر.

وسئل عن التصوف، قال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

رحمه اللهُ وحشره في زمرة الأبرار، وجعلنا من المُواظبين على الطاعات، الفائزين بالدرجات، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين[١].

* * *

(١) قوله: (الفائزين بالدرجات. . . . أجمعين) ليست في (أ).